الكاتب عبد الوهاب بن منصور للنصر

الرواية تكتب التاريخ غير الرسمي والشفوي

أجراس

صعلكة

سليم بوفنداسة

أصبح "خطاب الحق" عنوان ضعف في عالم اليوم الذي باتت تتحكّم في مفاصله قوى ولوبيات لا تبالي بالقوانين ولا بالمبادئ التي راكمتها الإنسانيّة في خروجها الفاشل من الصّراعات الدموية. بل إن "التصعلك" تحوّل إلى ما يشبه العرف في العلاقات الدولية، تُمارسه الامبراطوريات المعاصرة ووكلائها وخدمها وحشمها وجواريها.

يشير هذا المأزق الأخلاقي إلى فشل الإنسان في تجاوز طبعه البدائي الذي كان يفترض أن تهذبه الحضارات المتعاقبة والفلسفات و المعارف، ويُنذر بعصور ظلام جديدة، بدأت مع موجات الاستعمار الجديد وصعود الأصوليّات وتراجع صوت العقل ووصول الديمقراطيّة الغربيّة التي كانت تُقدّم كدين جديد يحملُ الخلاص للعالم، إلى حدودها القصوى، بعد أن استولى عليها تُجار السّلاح ولصوص المعادن، حيث يكفي إلقاء نظرة على قوائم النّخب السياسيّة التي تنتجها هذه الديمقراطيّة، للوقوف على المصير المخيف الذي ينتظر عصرنا.

ثمة دفع بالعالم إلى قبول الأمر الواقع الذي يحضّره المنتفعون في مخابرهم، تحت تسميّة التغيّرات الجيوستراتيجية، لإخفاء سلوكات من نوع نهب المعادن والثروات والاستيلاء على مقدرات شعوب وإسقاط حكومات وأنظمة ترفض الخضوع لإملاءات وحماية أنظمة تضع نفسها في خدمة أسياد العصر، ويجري استخدام مفكرين وفلاسفة في هذا المسعى مع توافق على مضايقة صوت الحقّ، وخير مثالٍ على ذلك الترويج المفرط لفلاسفة من نوع برنار هنري ليفي الذي فقد عقله تمامًا وهو يناصر الصهيونيّة ويبكي على "عزلة إسرائيل" ويشتم الأكاديميين الغربيين الذين انتفضوا ضد سياسات بلدانهم وانتقدوا انحيازها لقتلة الأطفال لا سيما في الولايات المتحدة، وبالمقابل اضطهاد مثقف ودبلوماسي في صورة دومينيك دو فيليبان، لأنه ينتقد ازدواجية المعايير ويحذر من سقوط الغرب إلى هاوية بلا قرار.

وسط هذا الظلام يشعل الدمُ الفلسطيني شمعة أيقظت ضمائر شعوب اكتشفت بهتان السرديّة التي يروّج لها القتلة وحُماتهم، تلخّص ذلك صورة عامل نظافة في شارع غربي استوقفه برنامجٌ تلفزيوني ليسأله عن حلمه، فكان ردّه مفاجئًا لسائله، حين قال حلمي أن يتوقّف قتل الفلسطينيين، لأنّ ما يحدث غير عادلٍ.

الوشم طقس موغل في الثقافة الوطنية

احتفالية الحصوبة ولغة التمرّد والألم

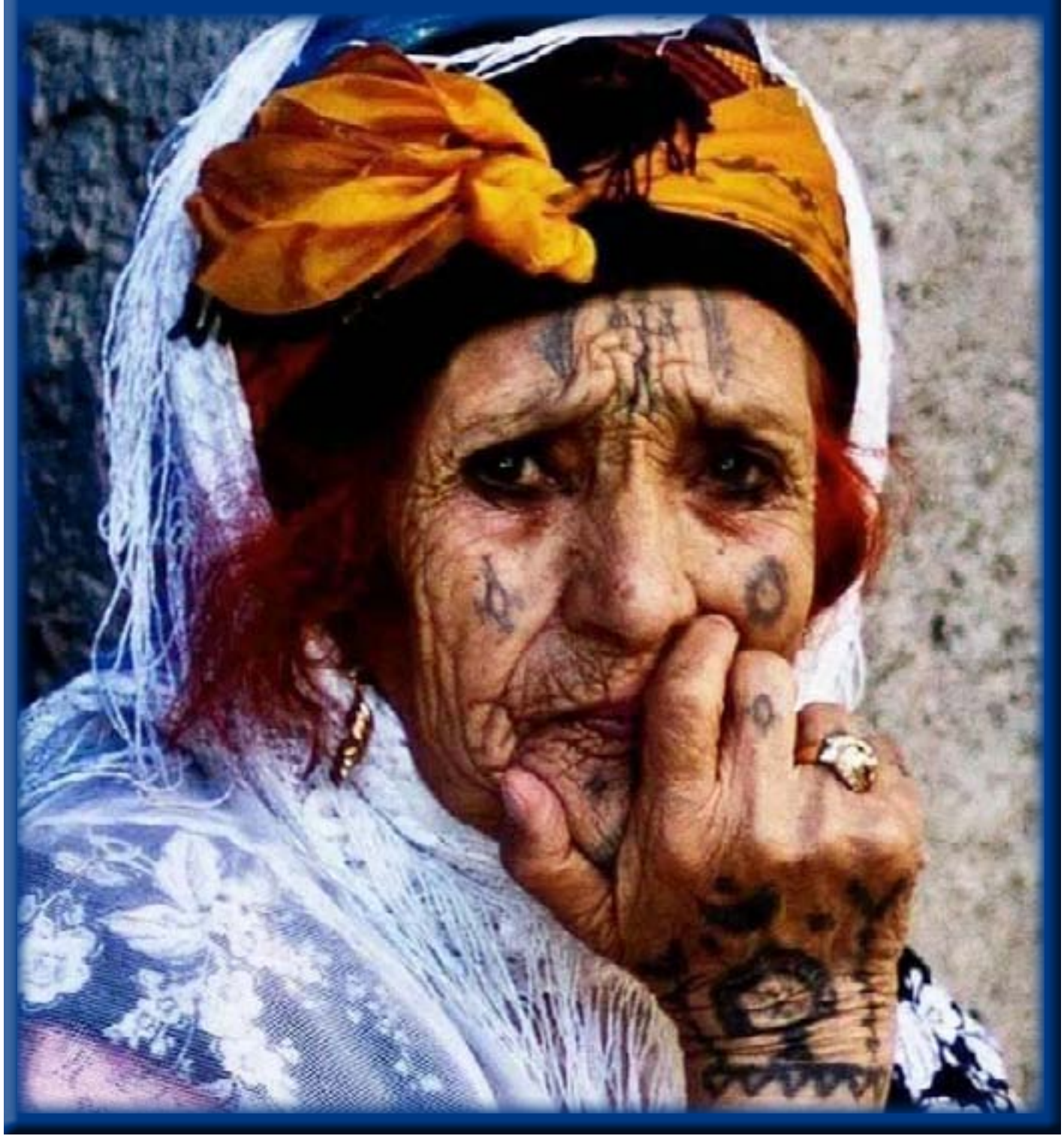

المكتبات الرقمية.. هل أصبحت بديلا للمكتبات التقليدية؟

يحتفلُ العالم اليوم (23 أفريل)، باليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف والملكية الفكرية، ففي مثل هذا اليوم من كلّ عام، تحتفل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو"، ومعها الهيئات والمؤسسات الثقافيّة في شتى بقاع العالم، باليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف، وهذا من أجل تعزيز القراءة ونشر الكُتُب وحماية الملكية الفكرية.

طقس موغل في الثقافة الأمازيغية

الوشم ..احتفالية الخصوبة ولغة التمرد والألم

تغنى الجزائريون في تراثهم " بزرقة الوشام" كوصف للمرأة الجميلة التي تميزها علامة على الوجه أو منطقة من الجسيد وذكره الرجال كعلامة للوفاء والألم، فالوشم عند الأمازيغ تحديدا تعبير عن الانتماء و الهوية وهو زينة للنساء، و يقال أيضا إنه عنوان للتمرد والتميز كما ترويه قصة رموز تزاحم تجاعيد وجوه من زمن آخر، فهذا الطقس الموغل في الثقافة الجزائرية و المثقل بالدلالات الاجتماعية تراجع إلى حد الفناء، بعدما أخذت عباءة العقيدة بعض العادات و أرسلت الحضارة تقاليد كثيرة إلى درج لا يفتحه سوى ضجيج السؤال عن أصل و حقيقة رموز محفورة في عمق تاريخنا.

دلالات معنوية للون و الشكل

كان الوشم الذي يغطي أجزاء من الأجساد وتحديدا الوجه، يثير استغراب الأجيال الجديدة، ويقدر ما كان الوشم يضفي جمالية على الوجوه فإنه كان يمنح شعورا بالرهبة و الغموض أيضا، وهو حسب نصيرة سيدة من الأوراس دلالة على اكتمال جمال المرأة وقدرتها على تحمل أعباء الزواج ومسؤولية إنشاء أسرة، فكلما استطاعت تحمل ألم الوخز عند الوشم كلما كانت أقدر على الصمود في وجه تحديات الحياة الزوجية، ويعتبر أيضا كما قالت طقسا للحماية و نوعا من الزينة، كما أنه بالنسبة لنساء بعض قبائل الأمازيغ، دليل على مكانة المرأة وسلطتها وسيادتها في تدبير المجتمع والأسرة.

ترتبط بالوشم رواية أخرى كذلك، و يشاع كما أوضحت محدثتنا، أنه بكل ما يعنيه من وخز وألم كان يستعمل لكبح الغريزة الجنسية و تقييدها لدى الفتاة، ولذلك كان يوضع في أماكن غير ظاهرة من الجسد.

ويقال إن السبب وراء تعدد ألوان الوشم راجع إلى دلالة كل لون فالأخضر مثلا يعبر عن السلام والسعادة والأمن، واللون الأسود يقي من العين والحسد، والوشم فوق العين تقوية للبصر، وعلى جانبي الجبهة إبعاد لآلام الرأس، وهي ممارسة شائعة بين الرجال والنساء على حد سواء.

"ثيشراد " زينة الفنانين في بلاد الأوراس

يوضح الباحث في التراث الأمازيغي محمد الصالح أونيسي أن الوشم أو " ثيشراد"، كما يصطلح عليه بالأمازيغية، هو زينة بالدرجة الأولى ولغة تعبيرية كذلك، تستخدم لرسمه مادة اسمها " أفلو" أو السخام، وهي تلك الطبقة السوداء التي تتشكل حول القدر في المطبخ القديم، وقد كان طقسا شائعا جدا إلى غاية منتصف السبعينيات و بداية الثمانينيات نظرا لتغير الثقافة و تراجع المعتقدات القديمة و ظهور وسائل أخرى للزينة.

ومن أكثر أنواع الوشم انتشارا في الجزائر، الوشم النسائي الذي يعكس حسبه، السلطة المطلقة للمرأة على جسدها ودليلا على تحررها، إذ كانت تضعه على الوجه واليدين والقدم، وكان مستحبا بين النساء صاحبات البشرة البيضاء، اللاتي يفضلن اللون الأخضر لأجل انعكاسه عليهن، فترسم العلامة على الجسد في مرحلة البلوغ تحديدا، لتميز الفتاة وتبين جاهزيتها للارتباط وتحمل مسؤولية الأسرة.

أما عند الذكور البالغين فقد كان الوشم يوضع للحماية، ويقل استعماله بين الرجال عموما، وكان الصليب على الجبين أكثر أنواع الأوشام الرجالية انتشارا، وهو رمز يؤكد الباحث، أنه وجد عند الأمازيغ قبل ظهور المسيحية في شمال إفريقيا، و يسمى في الأوراس" تاغماست"، ويظهر كذلك على اليد والذراعين والصدر، و مع أن الوشم كان مشتركا بين الجنسين في المنطقة، إلا أن قليلا فقط من الرجال كانوا يضعونه، بل وكانت غالبيتهم من الفنانين أو عازفي "القصبة والبندير"، الذين يشكل "ثيشراد" بالنسبة إليهم إكسسوارا أو حلية تزين الجسد و تكمل الإطلالة الأنيقة للرجل "الشاوي" كما عبر.

وحسب الباحث، فإن الرموز التي تشكل "كاتالوج" الوشم في الأوراس، هي لغة ووسيلة للتعبير مستلهمة من الطبيعة أو الأرض التي لطالما ارتبط بها الأمازيغ، ولذلك نجدها تتكرر أيضا في الزربية وتحديدا زربية النمامشة، على غرار رمز " ثاجوددت" أو الزجاجة و"إيشران" أي النجوم، و بطن الأفعى أو " اعديسو " والمشرف و العقرب " تاغرانن " و " تامشط" أو المشط.

وحسب الأستاذ، فإن الرموز كثيرة في منطق الأوراس و تختلف من عرش إلى عرش، وأهمها " إيزي" الذبابة، و المثلث" الخلالة" و في جنوب المنطقة يشتهر رمز النخلة أو" ثاجريدت"، إلى جانب المشط والفراشة والعقرب و العين التي تحمي من الحسد، وهناك الشمس والهلال و البرنوس، وما يسمى " إيري ولغم"، أو رقبة الجمل و "الخامسة" أو كف اليد.

الرمز ابن بيئته

وقد فند الباحث من جانب آخر، الرواية التي تتحدث عن استخدام النساء للوشم خلال الاستعمار كوسيلة لتشويه الجمال و تنفير الجنود الفرنسيين، مؤكدا بأن الوشم موجود منذ القدم ويسبق حقبة الاستعمار بكثير، فرمز المثلث مثلا، يشير إلى الخيمة وهي دلالة على وفاء المرأة لبيتها وزوجها، كما يرمز أيضا للحمل و الخصوبة، و لكل رمز قصة تتعلق بالحياة اليومية للإنسان الأمازيغي و تحديدا المرأة، التي تتمتع بخيال واسع و حدس قوي وقدرة إبداعية عالية، فهذه الرموز كانت ولا تزال طريقة غير مباشرة للتعبير عن تفاصيل الحياة، فمثلا تعبر الخطوط المتقاطعة عن جني الزيتون وتشكل كل نقطة حبة زيتون وهو شكل متداول في شمال منطقة الشاوية، فيما يكرس شكل النخلة أو جريدها في مناطق الجنوب ولذلك يمكن اعتبار الرمز في الوشم نتاجا للبيئة ولغة مشفرة تستخدمها النساء كثيرا لمخاطبة المجتمع والرجل وإثارة الانتباه.

يعود إلى سنة 6000 ق.م

يقول محافظ التراث الثقافي عبد الحق شعيبي، إن الوشم في العموم ظاهرة اجتماعية ونفسية وأنثروبولوجية وحضارية وثقافية ووجودية، و الاسم كما جاء في كتاب للأستاذ جميل حمداوي حول ظاهرة الوشم في الثقافة الأمازيغية، مشتق من " تاتو" أو "تاتاهو" او "تا" وقد عرفه الإنسان في العصور القديمة قبل أن ينتقل إلى شعوب البحر المتوسط، حيث كان الوشم معروفا لدى الصينيين و اليابانيين، والهنود و الأفارقة و السومريين و الآشوريين و البابليين و الأكاديين، الكلدانيين، الفرس، الفراعنة، المصريين، الرومان، اليونانيين، وأول رسم للوشم على الانسان يعود إلى سنة 6000 ق.م

تشير الورقة البحثية حسب شعيبي، إلى أن الأمازيغ استمدوا العناصر الزخرفية، من المصنوعات الفخارية والجلدية والفضية وزينة البيوت القديمة، ولا تزال المرأة البربرية إلى يومنا هذا تحمل في بعض المناطق الظاهرة من جسدها وشما يمثل أحد حروف اللغة البربرية.

وقد انتشرت ظاهرة الوشم في شمال إفريقيا إما في الفترة المسيحية تأثرا بالامبراطورية الرومانية (حتى القرن 7 م) أو تأثرا بالديانة اليهودية (نسبة إلى نقش الصليب على جباه النساء)، غير أنه من الممكن أن ترجح الدلالة الرمزية لهذا الوشم أساسا إلى حرف التاء باللغة الأمازيغية.

والوشم حسب دراسة أشرف عليها الباحث دكتور محمد الكامون، علامة سيميائية وأيقونة أمازيغية بامتياز، وظاهرة أنثروبولوجية وثقافية وحضارية ووجودية ، بحسب ما يوضحه محافظ التراث الثقافي، وأنواعه الأبرز، وشم الشعر والجبهة والوجه (بين الحاجبين، الخد، الذقن)، وشم البطن والظهر والفخذ والأرداف والساقين والرجلين و الركبة والقدم.

حبر و حناء وعلامات ورموز دالة

وقد اتخذ أشكالا هندسية وعلامات ورموزا دالة مثل "النقطة وسلسلة النقاط، الخط المستقيم، الزخارف البسيطة والمركبة الزخارف الصليبية وتجمية الشكل" إضافة إلى" أشكال دائرية ومنحنيات متماثلة وغير متماثلة، خطوط متوازية وملتوية، خطوط مائلة ومنحنية ومنحرفة، خطوط متشابكة ومتداخلة ومتقاطعة، مثلثات ومربعات ومستطيلات ومعينات ودوائر، حروف التيفيناغ، علامات زائد والأشكال المنغلقة والمنفتحة، الشارات العسكرية والزوايا المتعارضة أو القائمة أو المتوازية، الأشكال النباتية والحيوانية والطبيعية، المشبكات والأشكال الخماسية والتيجان".

وكانت الأدوات المستخدمة لرسم الوشم حسبه، متنوعة منها العظام والعصي، والحديد المتقد وأسنان المشط، والأدوات الحادة والإبر الوخزة، إضافة إلى الحبر والحناء بكل الأنواع والألوان. فضلا عن استخدام المساحيق الملونة و المشارط والسكاكين الحادة والرؤوس الخشبية، وأدوات الكي والخدش والشوكة، وحتى النباتات الطبيعية.

أما لملء الثقوب، فقد كانت تستعمل إحدى المواد التالية: الكحل النؤور (دخان الشحم)، الأعشاب العطرة، الفحم الأسود، التوابل أو النيلة، وبقايا احتراق السخام، الحرقوص والملح والثوم، القرنفل ومواد مختلفة.

توقيع على الجسد يؤرخ لحدث مهم

يوضح الوشم الأمازيغي في حفلات الأعراس والولادة أو عند بلوغ المرأة سن الرشد، للزينة أو عند الإحساس بالآلام الحادة، أو من أجل التميز والتفرد الاجتماعي والعرقي، أو للثورة على الجهات المهيمنة والسلطة الحاكمة ومسايرة الحداثة وما بعدها. وقد ارتبط الوشم في الثقافة الأمازيغية بطقوس عقائدية لتحقيق أغراض مختلفة، منها مقاصد جمالية تتوحد فيها الحقيقة بالخيال والطبيعة بالإنسان والألوان بالملامح، كما يهدف أيضا إلى تطهير النفس من الشرور والآثام، وتنقيتها من الشوائب والذنوب والكبائر بالخدش واختراق الجلد.

ويقصد منه الحماية من الأمراض العضوية والنفسية وأخطار الأوبئة والطبيعة مثل وشم المرأة أسفل الذقن أو على ظهر اليد، والرسخ والأصابع، وشم الرجل لصورة طائر لحماية الرأس من الآلام والصداع، أو نقطة بسيطة فوق الذقن وأخرى إلى الجانب الأيمن من الأنف للحماية من آلام الأسنان، وأخرى في بداية الجفن للحماية من أمراض العين"، وقاية الأطفال من العين والتحصين من الأرواح الشريرة.

للوشم رمزية سياسية كذلك، فهو كما توضحه المراجع البحثية حسب شعيبي، أساس الانتماء الاجتماعي وركيزة الاحساس بالانتماء الموحد والشعور بالهوية المشتركة، كما أن للوشم أغراضا "سادية ومازوشية مرتبطة بالعذاب والألم والقسوة فقد كانت بعض شعوب إفريقيا البدائية تقوم بوشم المرأة بعد فطام الطفل الأول مباشرة من ذقنها حتى أسفل بطنها وترسم على الذراعين آلاف الندب الصغيرة وفي اليوم التالي يوشم الساقان فتفقد المرأة كمية هائلة من الدم وقد تتعرض لفقدان الوعي لتصبح من ذوات الحظ من بنات القبيلة" وله أبعاد أخرى اجتماعية، حيث يظهر وكأنه خضوع لوسط معين على حساب وسط آخر لم يتمكن الفرد من التعايش معه والانصهار فيه والتقيد بأغراضه وأخلاقياته رغبة في التغيير والتطلع إلى واقع أفضل.

كما أن للوشم أغراضا نفسية للتعويض عن نقص ما أو رغبة، أو تعبيرا عن كبت أو عدوانية أو تحرر، كما يعبر عن ثقافة الإشباع والتفسخ والترف الاجتماعي والحضاري لمجتمع ما، وهو كتابة تعبر عن الاضطراب والضيق والقلق الدفين ووسيلة للاقتراب من الكمال والولوج إلى عالم وحياة الكبار.

سيميائية الانتقال من سلطة الدال الصوتي إلى الدال المكتوب

يرد الوشم كما أضاف، في شكل خطوط وإشارات وعلامات ونقاط هندسية ورمزية، وعلى شكل جرافيتي فني جمالي وتشكيلي، وعلى شكل حروف ليكون بذلك كتابة سيميائية بصرية وأيقونية للانتقال من سلطة الدال الصوتي إلى الدال المكتوب، تحمل هذه الكتابة دلالات فلكية مثل "الأبراج" تعبر عن اختلاف الأمزغة النفسية.

ويستعمل الوشم للتمييز بين القبائل الأمازيغية وللتعرف إلى الأطفال عند تيههم، وللتمييز بين العزباء والمتزوجة وبين الأحرار والعبيد والرق.

يشاع كذلك، أن الممارسات الوشمية محورها إخراج الدم، الأمر الذي يجعل الأفراد يشعرون براحة روحية، فالدم رمز للروح والطاقة الحيوية، كما أن آلام الوشم ترمز إلى الشجاعة والوفاء، والتضحية والإخلاص ولذلك يختار الرجال الوشم للتميز، ويعبر عن ثقافة طوطمية وطقوسية تنم عن دلالات الخصوبة والعطاء والارتقاء نحو عالم الروح.

هدى طابي

الكاتب والروائي عبد الوهاب بن منصور للنصر

الرواية تكتب التاريخ غير الرسمي والشفوي

◆الكثير من الروائيين حاولوا اِستلهام التراث الصوفي رغم مخاطره

يعتقد الكاتب والروائي عبد الوهاب بن منصور، أنّه مهما قيل عن الرواية التي اعتمدت أو استندت على التاريخ فهي رواية وليست تاريخاً ولا يمكن أن تكون بديلاً عنه. كما يرى أنّ الرواية هي تاريخ من لا تاريخ لهم بتعبير عبد الرحمن منيف. وأنه من واجبها كتابة التاريخ غير الرسمي والشفوي. فالرواية -حسب رأيه- تقول ما لم يقله المؤرخ والسياسي أو ما حاولا إغفاله.

حوار: نوّارة لحرش

بن منصور، يقول أنّ كتاباته تنهل من الصوفيّة وقاموسها وتسبح في فضاءاتها الرحبة، وفي هذا السياق، يعتقد أنّ التصوّف ليس فلسفة أو معرفة كما يُشاع عند كثيرين، بل هو مُمارسة. الممارسة التي أوجدت معها فلسفة حياة.

إلى جانب هذا تحدث عن تجربته في كتابة المسرح والسيناريوهات الوثائقية والسينمائية. كما لم يغفل في حديثه عن تأخر ترجمة النصوص العربية، وأرجع السبب بالدرجة الأولى لتقصيرنا في تقديم أعمالنا.

للتذكير، عبد الوهاب بن منصور، قاص وروائي، صدرت له مجموعة من الأعمال الأدبية، من بينها مجموعته القصصية الأولى «في ضيافة إيليس» العام 1994 عن قصر الثقافة والفنون بوهران،

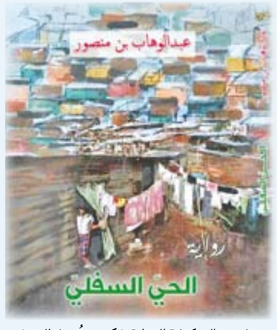

بعدها عرج إلى كتابة الرواية، فكتب «قُضاة الشرف» التي صدرت في العام 2001، عن منشورات اتحاد الكُتّاب، والتي تُرجمت إلى الفرنسية، كما تَرجم معهد غوته الألماني مقاطع منها في كراسات قدمها للتعريف بالأدب الجزائري خلال معرض الكتاب الدولي لفرانكفورت سنة 2003. وفي 2006 صدرت له روايته الثانية «فصوص التيه» والتي صدرت ترجمتها الفرنسية عن منشورات البرزخ. كما صدرت له رواية بعنوان «الحيّ السفليّ». أيضا له مجموعة من السيناريوهات الوثائقية والمسرحية والسينمائية.

❖تعتمد في كتاباتك على ثلاثية: (التراث، التاريخ والصوفية)، ففي روايتك «قضاة الشرف» -مثلا- استثمرت في التراث والتاريخ. برأيك لماذا الروايات الجديدة تستثمر وتستلهم هذه التيمات؟

- عبد الوهاب بن منصور: مهما قيل عن الرواية التي اعتمدت أو استندت على التأريخ فهي رواية وليستْ تاريخاً ولا يمكن أن تكون بديلاً عنه. وشخصياً أرى أنّ الرواية تسدّ ثقوب التاريخ، بمعنى آخر إنّ الرواية هي تاريخ من لا تاريخ لهم بتعبير عبد الرحمن منيف. فالرواية في رأيي المتواضع، عليها واجب كتابة التاريخ غير الرسمي والشفوي. الرواية تقول ما لم يقله المؤرخ والسياسي أو ما حاولاً إغفاله، لأنّ، مثلما قال منيف عن الرواية التاريخية، أحداثها وتأثيرات هذه الأحداث لا تزال تجري أمام أنظارنا، أي الآن. وبكلّ بساطة فهي إعادة تركيب ونسج لأحداث وفق رؤية آنية.

أمّا عن التصوّف فالمسألة بالدرجة الأولى مُتعلقة باللّغة، لغة السرّ والكتمان ذات حمولة خاصة لذلك نجد كثيراً من الروائيين حاولوا استلهام التراث الصوفي رغم مخاطره، وأقول مخاطره لأنّي أعتقد أنّ التصوّف يُقرأ من داخل وليس من خارج مثلما هو الحال عند كثير من الروائيين.

التصوّف مُمارسة قبل أن يكون معرفة أو فلسفة كما يعتقد البعض

❖أيضاً رواية «فصوص التيه»، تغوصُ في الفضاء الصوفي بقوّة. ما الذي يجعل الصوفيّة تستهويك وتفرد طقوسها على كتاباتك؟

- مثلما قلتُ سابقاً، فالتصوّف يُقرأ من داخل وليس من خارج، بمعنى أنّ محاولة استِلهام لغة الصوفيين فقط محفوفة بالمخاطر، بدءاً من السمع والفهم فالمعرفة ثم العرفان. والدرجات الأربعة لا يمكن بلوغها من خارج، أي دون تجربة صوفية خالصة. فالتصوّف مُمارسة قبل أن تكون معرفة أو فلسفة كما يعتقد كثيرون.

وفي رواية «فصوص التيه» حاولتُ الجمع بين الطقس والقاموس الصوفيين وعملتُ على تقديم نص روائي حامل للمعرفة وليس مجرّد رواية أحداث تترابط فيما بينها. وأعتقد أنّ الكتابة تجربة شخصية، لذلك كان لعامل البيئة التي عشتُ فيها تأثيراً عليّ، فقد تربيتُ في وسط صوفي بطقوسه المختلفة وممارساته وحكاياته، التي تبلغ حدّ الأسطورة زيادةً عن لغة الإشارة والرمز، وأمام كلّ هذا التراكم كان علي واجب السؤال والمساءلة بإنتاج نصوص روائية تستلهمُ هذا التراث.

ما بيني وبين كتاباتي خيطٌ رفيعٌ ولا تخلو نصوصي من سيرتي

❖روايتك «الحيّ السفليّ» نأيت بها من الصوفيّة إلى الواقعية أكثر، كما اشتغلت فيها على محطات من سير تك الذاتية. لماذا اللجوء إلى الذات والسيرة في هذه الرواية تحديداً، وهل الصوفيّة لم تعد ملاذاً لكتاباتك ولخطك الأدبي؟

- لقد قلتُ أنّ الكتابة تجربة شخصية وما بيني وبين كتاباتي خيطٌ رفيع، أي لا تخلو نصوصي من سيرتي. فروايتي «الحيّ السفليّ» ليست بشكل «قُضاة الشرف» ولا «فصوص التيه» رغم أنّها تنبع هي الأخرى من التراث والتاريخ. وأعتقد أنّ الموضوع يفرض طريقة ولغة تناوله لذلك نأيتُ عن الصوفيّة في هذا العمل فقط. ورواية «الحيّ السفليّ» تقرأ تاريخ الإنسان وارتباطه بالمكان فالحيّ السفليّ له معنيان.

الترجمة تتأخر عادةً للنصوص العربية ويرجع ذلك بالدرجة الأولى لتقصيرنا في تقديم أعمالنا

❖«فصوص التيه» تُرجمت إلى الفرنسية وصدرت عن منشورات «البرزخ»، كما تمت ترجمة «قضاة الشرف». لماذا برأيك تتأخر الترجمة في الالتفات إلى النصوص العربيّة؟

- صحيح ما تقولين.. فالترجمة تتأخر عادةً للنصوص العربية وأعتقد أنّ ذلك يرجع بالدرجة الأولى لتقصيرنا في تقديم أعمالنا، ولو أنّي أرى أنّ مهمة الكاتب هي الكتابة للقارئ العربي أوّلاً، أي يكتب لمجتمعه وليس لمجتمعات أخرى. ولا أنكر أنّ الترجمة لنصوصنا تفتح لنا حقولاً جديدة سواء من حيث القارئ أو الناقد. فبعد ترجمة «قُضاة الشرف» إلى الفرنسية بعد صدورها ثمّ ترجمة فصول منها إلى الألمانية في كتيب كان معروضاً بمعرض فرانكفورت بألمانيا سنة 2003، تمّ نقل «فصوص التيه» إلى الفرنسية وأنا سعيد بهذه الترجمة خاصة وأنّها حافظت على خصوصياتها اللغويّة.

المسرح له إمكانية تحويل نص من الورقة إلى عمل حيّ يُسمعُ ويُشاهد

❖تكتب للمسرح وتشتغل على نصوص مسرحية بالموازاة مع الكتابة الروائية. لماذا هذا الهوس بالمسرح، وهل تستوعب الخشبة ما لا يستوعبه المتن الروائي؟

عبد الوهاب بن منصور: المسرح حلم طفولي قديم. لقد عشقتُ المسرح وأنا تلميذ ثم طالب وعشتُ فترة مُتواضعة مع المسرح ثم انقطعت عنه لكن ظل الحنين إليه مشدوداً. وفي محاوَلة مني لتحقيق هذا الحلم القديم أو جزء منه أشتغل كتابةً على المسرح. وبالنسبة لي فالكتابة للمسرح أو الرواية أو القصة هي عمل إبداعي أحاول من خلالها تقديم إضافة جديدة وكتابة شيء متميز وجديد. فالاختلاف الموجود بين هذه الأجناس يبقى إختلافاً تقنياً فَقط إضافةً إلى أنّ المسرح يبقى عملاً جماعياً يتدخل فيه مجموعة من التقنيين لإحياء النص في حين تبقى الرواية عملاً مرتبطاً بشخص الكاتب. فالمسرح له إمكانية تحويل نص من الورقة إلى عمل حيّ يُسمع ويُشاهد..

أنا مولع بقراءة التاريخ والبحث التاريخي إضافةً إلى التصوّف

❖إلى جانب هذا، كتبت سيناريوهات لأفلام وثائقيّة وسينمائية، منها سيناريو تاريخي حول التعذيب في الجزائر (سكوت، إننا نعذب). ماذا عن هذه التجربة، وما الذي دفعك إلى خوض غمار الكتابة الوثائقية والسينمائية، وهل السينما الجزائرية تناولت موضوعة التعذيب كما يجب؟

- منذُ سنوات اتجهتُ كذلك لكتابة سيناريوهات أفلام وثائقية، ولا أنكر أنّ ما شدني إلى هذه التجربة المُتواضعة هو عملية البحث التي تسبق الكتابة ثم تصوّر العمل فنيًا من مؤثرات وصوت وضوء... إلخ. فأنا مولع بقراءة التاريخ والبحث التاريخي إضافةً إلى التصوّف كما قلت سابقًا لذلك كان أوّل سيناريو كتبته تمحوّر حول شخصية صوفية جمع بين الموسيقى والشّعر والتصوّف.. ومن بين الأعمال كان سيناريو فيلم وثائقي حول التعذيب بعنوان «سكوت إننا نعذب». ورغم الأفلام الكثيرة التي تعرضت لهذا الموضوع الحساس فإني عملت عليه بطريقة جديدة حيث لم أسقط في متاهة ذكر التعذيب الذي تعرض له الجزائريون وطرق التعذيب وأماكنه ومراكزه فقط بل تطرقت إلى أسبابه وأهدافه السياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، إذ ليس من المعقول أن نربطَ التعذيب في الجزائر بمعركة الجزائر فقط أو لأجل الحصول على المعلومة، مثلما كان يُوهمنا الاستعمار الفرنسي وعليه تم إنجاز مجموعة كبيرةَ من الأفلام الوثائقية أو التخييلية.

لقد كان التعذيب في الجزائر مرتبطاً بنظرة عنصرية بحتة تعود إلى بداية الاحتلال، ولم يكن أي جزائري سواء كان رجلاً أو امَرأة أو طفلاً في منأى عن التعذيب، ولم تخلو مدينة أو دشرة جزائرية من مركز للتعذيب. بكلّ بساطةٍ فإنّ التعذيب وفنونه كان يدرّس في مدرستين أنشئتا خصيصاً لهذا الغرض واحدة بسكيكدة وأخرى بآرزيو.

انطلاقاً من قراءتي لابن عربي ولفصوصه حاولتُ تبسيط متنه بمتنٍ يُحيل إليه ويستند إليه

❖بين "فصوص التيه" و"فصوص الحكم" لابن عربي، أين تكمن القواسم المشتركة وأين تختلف وتتمايز، وما الذي أضافته فصوص ابن عربي لتجربتك ولفصوص بن منصور، أي لفصوصك؟

- طبعًا فمن خلال العنوان «فصوص التيه» الّذي يُحيلنا إلى فصوص الحكم لابن عربي ندرك أننا ندخل عتبة صوفية ونتدرج في معارجها بغية بلوغ حكمة ما أو لنا أن نتيه بين مسالكها. والتيه حكمة صوفيّة تبدأ بالقلق ثم المحو ليكون اليقين. فالتصوّف لا يعترف بالتضاد، إذْ ليس في قاموسه كفر وإيمان ولا رطب ويابس، إنّما العذب من العذاب. وانطلاقاً من قراءتي لابن عربي ولفصوصه حاولتُ تبسيط متنه بمتن يُحيل إليه ويستند إليه. وما الابن (في رواية فصوص التيه) غير مريد بن عربي (في فصوص الحكم) مسلوب الإرادة وعديم القدرة لكن حقه في السؤال يظل يربطُهُ بالتعرج والتدرج في المقامات حتى يبلغ مقام التيه إذ تمحى فيه كلّ الأضداد وتلك حكمة أحببتُ أن أعرف.

❖بعد هذه الكتابات والمؤلفات، كيف تقرأ علاقتك بالتصوّف، وهل خدمت كتاباتك على مستوى اللّغة تحديداً، وهل التصوّف لديك أسلوب كتابة وتعبير فقط، أم هو أيضا أسلوب حياة ومُمارسة؟

- كما قلتُ سابقًا فإنّ التصوّف ليس فلسفة أو معرفة كما يُشاع عند كثيرين، بل هو مُمارسة. الممارسة التي أوجدت معها فلسفة حياة. ولذلك أقول مرّةً أخرى، أنّ التصوف لا يمكن قراءته وفهمه من خارج أي أن تجلس وتقرأ المتن الصوفي وتقول فهمت. لقد وضع ابن عربي الكتابة أو القراءة على مستويات ثلاثة، فالأوّل للعامة والثاني للخاصة والثالث لخاصة الخاصة. فالمستوى الأوّل هو لمن أراد القراءة من خارج، مثلما وضع للخاصة ولخاصة الخاصة شروطا لبلوغ العرفان وهو الجمع بين العمل والقول إذ اشترط السمع ثم الفهم ثم المعرفة. أمّا الحديث عن اللّغة فذاك حديثٌ آخر لأنّ الصوفيّة وضعوا قواميس لمصطلحاتهم فالقبض عند ابن عربي ليس هو قبض النقشبندي أو الجنيد أو حتى القشيري.

المكتبات الرقمية.. هل أصبحت بديلا للمكتبات التقليدية؟

يحتفلُ العالم اليوم (23 أفريل)، باليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف والملكية الفكرية، ففي مثل هذا اليوم من كلّ عام، تحتفل منظمة الأُمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو"، ومعها الهيئات والمؤسسات الثقافيّة في شتى بقاع العالم، باليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف، وهذا من أجل تعزيز القراءة ونشر الكُتُب وحماية الملكية الفكرية. وكما جاء في وثيقة اليونسكو، فإنّ يوم23 أفريل، هو تاريخ رمزي في عالم الأدب العالمي. ففي هذا التاريخ من عام 1616، شهد العالم وفاة نخبة من الكُتّاب والمبدعين العالميين، منهم: ميغيل دي سرفانتس، وليم شكسبير، آلاينكا غارسيلاسو دي لافيغا. كما يصادف يوم 23 أفريل ذكرى ولادة أو وفاة عدد من الأدباء، مثل موريس درويون، هالدور ك. لاكسنس، فلاديمير نابوكوف، وجوزيب بْلا، ومانويل ميخيا فاييخو. وغيرهم الكثير. هذا التاريخ الرمزي في عالم الأدب، أقرته منظمة اليونسكو، كاحتفالية سنوية، وكفرصة للاحتفاء بالكتاب ودراسة سُبل ترقيته وانتشاره، وتعزيز الجوانب الثقافية له. بمبادرة أطلقتها لصالح الكتاب وحقوق المؤلف، خلال مؤتمرها في باريس عام 1995. واليوم، تأتي مناسبة العيد العالمي للكتاب، في وقت اختفت فيه الكثير من المكتبات التقليدية الورقية، في السنواتَ الأخيرة، وانتشرت في المقابل المكتبات الرقمية في مواقع ومنصات وبرامج إلكترونية متعددّة الوسائط، فهل يمكن القول أو الجزم في ظل تراجع المكتبات التقليدية (في الجزائر-مثلاً-)، بأنّها ستكون بديلة عنها، أم تُكمِلها؟ أيضاً ما مدى مكانة المكتبات الرقمية، وأهميتها في حياة الأفراد والكُتّاب والمثقفين والمؤسسات التعليمية والجامعات، وهل تعوض المكتبات الرقمية أو الإلكترونية المكتبات الورقية التقليدية وتُغنينا عنها في سياق يوميات الحياة العصرية المتسارعة؟ أيضا هل حقاً وصلت ثقافة المكتبة الرقمية إلى مجتمعنا الجزائري، والعربي عموماً، وبالتالي إلى الإنسان والمثقف الجزائري والعربي. خاصةً وأنّ الأمر في بقية دول العالم وهي مجتمعات قرائية بامتياز، تُشكل فيه المكتبات الرقمية واحدة من صور الحياة العصرية. لكن كما يتساءل الدكتور لونيس بن علي، وفي سياقنا الجزائري: هل نجحنا في التأسيس لمجتمع القراءة؟

أعدت الملف: نـوّارة لـحـرش

الشاعر خالد بن صالح

المكتبات الرقمية واحدة من صور الحياة العصرية

يقـول الشاعـر خالد بـن صالح في هـذا الشأن: "لا شـك أنّ المكتبـات الرقميـة تُشـكلُ واحدة من صور الحيـاة العصريـة المتسارعة، وتكمن أهميتهـا أساساً لارتباطهـا بشبكة الإنترنت، ممّا يعني إتاحة المحتـوَى بأسرع ما يُمكن، والحصولَ على المعلومات المطلوبة مجاناً، في فضاء مفتوح علـى كلّ الوسائط والمـواد الأرشيفية مَن كُتُب تراثيـة وجديدة وأخرى نادرة وقديمـة، بالإضافة إلى عـدد كبير جداً مـن الصـور والفيديوهات والملفـات الصوتيـة والنصوص والمقـالات والأبحاث وغيرهـا، والمتوفرة في صيغ رقمية لا تتطلب عناءً وجهداً ولا تُكلف شيئاً".

ومواصلاً في ذات الشأن، أضاف: "هذا من حيث مبدأ عمل المكتبـات الرقمية في مقابل المكتبات الورقية التي تحتـاج إلى مساحات تخزين كبيرة بينمـا يتسع الفضـاء الرقمي لملايـين المجلدات والوثائـق والمـواد التـي تتطلب عـدداً قليلاً من الخـبراء لتنظيمهـا وترتيبهـا وإتاحتهـا للقُـرّاء والطلبة والباحثين، خاصةً مع التطبيقات الجديدة والمُحدثـة لتسهيـل عمليات التصفـح وتعميم الاستفادة".

وحَسـب المُتحدث: قد يليق هـذا التوصيف على مكتبـة رقمية مثل مكتبـة الكونغرس والتي لا يقل محتواها الورقـي قيمةً وأهميةً عن محتواها الرقمي الرهيب.

ثـم أردف متسائـلاً وموضحـاً في آن: "ربّما هذا يفرضـ جملة مـن الأسئلة العمليـة حين يتعلق الأمر بالعالم العربي والجزائـر بالذات. منها: هل نملك أرضية قانونية لمثل هذا النوع من المكتبات؟ في ظل ضآلـة قوانين حماية حقـوق النشر أمام انتشار القرصنة وغيرها من الانتهاكات العلنية لعالم الكِتـاب والفنون عموماً؟ ما مدى التحكم في تقنيات الأرشفة والعرض، وترتيب البيانات لتسهيـل عمليـات البحـث وعـدم الضياع في الطريـق إلى المعلومة؟ هل ساهمـت المؤسسات الرسمية في تطبيق القوانين لفرض بيئة صحية ونظيفـة تحافظ على المكتبـات الورقية وتُوسع في الوقـت نفسـه مـن استخدامـات المكتبات الرقمية على أوسع نطاق؟".

هـذه بعض الأسئلـة -يقول بن صالـح- وليس كلها، بالنظـر للتحديات الكبيرة التي تواجه هذا النوع من المكتبات عندنـا، حتّى تكون مكتبات عملية ودقيقة، وذات مصداقية.

فمخـاوف الناشريـن مثـلاً -كما يعتقـد- تكبر عندما لا يوجد ما يـردع أي شخص لاستنساخ نسخة إلكترونية من كتاب ما وتوزيعها بشكل غير قانوني وبلا تصريـحٍ أو اتفاق مسبق. وهذا جانب واحد من الإشكال مُتعدّد الأوجه.

ذلك أنّ مجـاراة التطوّر السريـع -حسب رأيه- الحاصل في عالم التكنولوجيات الحديثة والتغير المُستمر لمحـركات البحث وتجـدّد بياناتها يُعتبر تحدياً هو الآخر، مـع ضمان ديمومة المواد الرقمية وصيانتها، ما يتطلب خبرة وأموالاً.

ومُستدركاً أضـاف: "وإن كان للجزائر تجربة في هـذا المجال مـع رقمنة المكتبـة الوطنية والعمل على رقمنة المكتبات الجامعية إلاّ أنّ سياق توفير الكُتُب الحديثة والجديدة كما المخطوطات والمواد التراثيـة والقديمـة، لا يختلف عن واقـع الكتاب الورقـي وغيابـه في الحيـاة اليوميـة للمُثقّـف والباحث والمهتم بشكل عام".

وفي ذات السيـاق واصَل قائـلاً: "شخصياً أهتم بالجانبـين معـاً، أي توفـر الكتـاب الورقي كما الإلكـتروني، وأي مادة أرشيفَية أخرى بشكليها المـادي والرقمي هـي سد لفراغ مهـول يصعب على مقتنيات فرديـة أن تتيحه حين يتعلق الأمر ببحـث أكاديمـي جـاد أو كتابـة ترنـو لاستيفاء شروطها الإبداعية".

فالفراغـات -حسب رأيه- والمساحـات البيضاء في تاريخنا المعاصر كبيرة جداً وتحتاج إلى جهود حقيقيـة لتُمـلأ بالكُتُـب والمواد علـى اختلافها لتلبي الاحتياجات المُتزايدة للمهتمين.

صاحـبَ "مرثيـة الأبطال الخارقـين"، خلص في الأخـير إلى القول: "إنني طبعـاً أميل إلى الكُتُب الورقية والمواد الملموسة، إلاّ أنّ ضيق المكان وقلة الحيلـة يتطلبان البحـث إلكترونيًا عمّا أرغب في قراءته أو الاستناد عليه في مشاريعي الإبداعية، لكـن مثلمـا هنـاك طقوسـ في القـراءة أفضل أن تتوفـر تلك المـواد الرقميـة بطريقة صحيحة ومريحة لتكون الفائدة كما المتعة أكبر".

الناقد الأدبي لونيس بن علي

التقنيّة وفرت الكتب لكننا في حاجة لتأسيس مجتمع القراءة

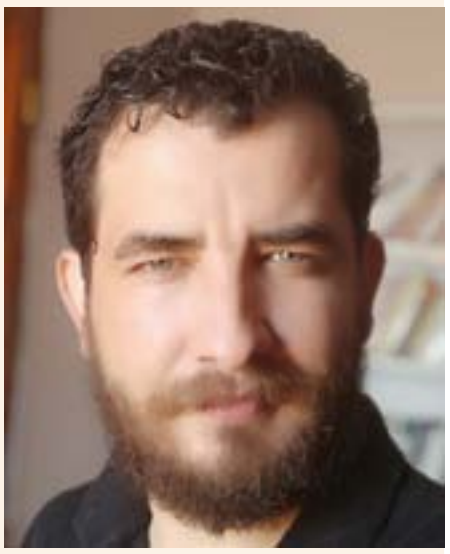

يرى الأكاديمي والناقد الأدبي، الدكتور لونيس بن علي، أنّنا نحتاجُ إلى كتابة سيرة الكُتُب في ثقافتنـا وفي مُجتمعنا، وهي في جوهرها سيرة الثقافـة العُليـا، التي من خلالهـا يُمكن رصد التاريخ التكويني للوعي الجمعي.

مضيفـاً: "نحن لا نكاد نُؤرّخ لأنفسنا انطلاقاً مـن سيرة الكُتُب، لعلّ للأمـر سرّ ما، نَخشى أن ينكشـف، فتنكشـف عورتنـا الحضارية. الأمم تتطـوّر روحيـاً وأخلاقيـاً وعقليـاً على نحـو مطـرد كلمـا ازداد الاهتمـام بالكتاب، وكلمـا أُعطيت للكُتُب مكانتها التي تستحق، والعكس صحيح؛ فخراب الأمم لا يأتي بسبب فسـاد أخلاقهـا فحسـب، لكن يأتـي بسبب هجران الكُتب والمكتبات".

وفي ذات المعطـى، أردفَ قائـلاً: "منـذ زمـن ليس ببعيـد، كُنا نشكو من ندرة الكُتب ومن شحهـا، حينها اعتقدنـا أنّ مشكلـة العزوف عن القـراءة لها ما يُبرّرها علـى الأقل. ليأتي عصـر التقنيـة، فانفتحت الثقافـة أكثر على منجزاتهـا العظيمـة، ومنهـا تطـور وسائل المعرفة وأدواتها، فظهـر الكتاب الإلكتروني، وانتشرت المكتبات الإلكترونية، وعلى الرغم مـن أنّ الكثير ممّا هو متوفـر اليوم من الكُتب هو مُقرصن، فإنّ الكتاب صار متوفراً بشكل كبير، فانتقلنا من أزمة الندرة إلى أزمة الوفرة المُبالـغ فيها. لكن هل أصبحـت القراءة اليوم مُمكنة أكثر من السابق؟"

وبعد هذا التساؤل عن القراءة وما إذا أصبحت مُمكنـة أكثر مـن السابـق، يُواصـل المتحدث فكرته بنوع مـن التوضيـح والإجابة: "هناك مؤشرات تُوحي بأنّ الثورة التقنية قد نشّطت القراءة أكثر، خاصةً وأنّ الكتاب، قديمه وحديثه وجديـده صـار مُتوفـراً، وهذا يُمكـن رصده مـن خلال انتقـال القُرّاء مـن الكتاب الورقي إلى الكتـابَ الرقمـي (المقرصـنَ في الغالب)، ويمكـنَ أن يكون ذلـك مؤشراً قويًـا لاهتمام أكـبر بالكتاب؛ عالمياً، وبعـد جائحة الكَوفيدَ، ومـا سببتَـه من غلـق عالمي، نشـط الكتاب الإلكتروني، بالنظر إلى سهولة الوصولَ إليه وتوفـره الآني، ساعد ذلـك في تنشيط سوق الكتاب على نحو غير مسبوق".

وهَنـا أضـاف مُستـدركاً: "طبعًـا، ودون نية المقارنة التقليدية بين الكتاب الورقي والكتاب الإلكتروني، فإنّه يُمكن رَصد بعض المُميزَات، منها سهولـة الوصول إلى الكتاب، وحتى لو كان مدفوعاً فـإنّ سعر الكتـاب الإلكتروني أقـل بأضعاف مـنَ سعـرَ الكتـاب الورقي، دون الحديـث عن الكتـاب المقرَصن أو الكُتُب المجانية التي توفرهاَ بعض المنصات المحترمة مثل موقع هنداوي للكُتُب، أو أبجد. بالإضافة إلى أنّ القراءة الالكترونية تمنح بعض المُميزات الأخـرى مثل القَـدرة على كتابـة الملاحظات والتظليـل على الفقـرات والجُمـل وسهولة العودة إليها في أي ظرف كان".

طبعـاً، هنـاك مـن يتحـدث -كمـا يضيـف المُتحدث- عـن الأضـرار الصحيـة للكتاب الإلكتروني لاسيما الّذي يُقرأ على الحاسَوب أو الهاتف أو اللوح الإلكتروني، وهذا صحيح طبعاً، لكن أهل الميـدان قد فكروا في قارئات الكنـدل المشهورة والتـي تُوفر تجربة مختلفة في القـراءة مـن خـلال تكنولوجيـات الحـبر الإلكـتروني، فالأجهـزة تُوفر تجربـة مُختلفة ومريحة للقراءة.

وفي الأخير خلصـ إلى القول: "لقد وفرت لنا التقنية جنة من الكُتب ومن المكتبات الرقمية. فهل هنـاك من يقرأ؟ هل نجحنـا في التأسيس لمجتمـع القـراءة؟ المُشكل اليـوم أنّنـا انتقلنا نحو ثقافـة الاستهلاك، مع العلم أنّ القرَاءة لا تندرج ضمن أفعال الاستهلاكَ الثقافي، لأنّها تنتمي إلى أفعال الإنتاجَ الثقافي".

الأستاذ فوضيل خالد

المكتبات الرقمية ضحية غياب المقروئية أيضا

يبدأ الأستاذ والكاتب فوضيل خالد، تدخله، بإحدى مقولات غامبل واترسون وهو أحد أبطال سلسلة كرتونية أمريكية بريطانية، وهو قط أزرق عمره 12 سنة حيثُ يقول في أحد المقاطع (ضع القليل من البنزين على كتبك وأشعل عود ثقاب ودع العلم يُشع نورا). من جهة أخرى يقول في حلقة أخرَى (الإنترنت كله شر في شر، الحياة بلا انترنت مفيدة جداً).

بعدها أردفَ قائلاً: "أسوق هاتين المقولتين ليس من باب السخرية ولكن للتعبير عن مدى تناقض السياقات الجديدة فيما يخص الاهتمام سواء بالمُطالعة والكُتب من جهة، وكذلَك ما تحمله تكنولوجية الإعلام والاتصال والإنترنت وأثرها على حياة الإنسان من جهةَ أخرى".

مُضيفاً: "في الحقيقة، موضوع المكتبات الرقمية والتقليدية لا ولن يُعالج إلا في ظل الحديث عن المقروئية والمطالعة سواء في الثقافة العامة، لمختلف المجالات أو حتى المطالعة المتخصّصة أو الأكاديمية لأغراض بحثية أو بيداغوجية".

صاحب "ما دمتُ أملك أجنحة"، قال أيضا: "إنّ المكتبات سواء الرقمية أو التقليدية قبل الحديث عن أيهما أولى أو أفضل أو أنجع، أعتقد أنّ كلاهما يُعاني كثيراً من ضعف الإقبال والاستعمال وتراجع مستويات القراءة والمطالعة لَدى أغلب شرائح المجتمع، بمَا في ذلك المكتبات الجامعية التي تحوز على جمهورَ الباحثين وطلبة العلم وأصحاب الاختصاص، نجد أن نسبة الإعارةَ ضعيفة جداً سَواء الكُتب الورقية أو حتى الدّعامات والوثائق الالكترونية والرقمية. إذا نحن أمام تحدي كبير، ورَهان اجتماعي وثقافي وحضاري يدعونا جميعاً إلى طرحَ سؤال وجودي: لماذا لا نقرأ؟".

وفي المقابل، وفي حقيقة الأمر -يرى المتحدث- أنّ المكتبات الرقمية اليوم أصبحت واقعاً ملموساً في ظل تطور تكنولوجيا الاتصال والانترنت حيثُ لا نجد شخصاً واحداً لا يملكَ هاتفاً مُتعدّد الوسائط أو حاسوبًا شخصياً.

وبالتالي -كما يقول- "فإنّ غالب الاستخدامات اليوميّة تتم في وسائط إلكترونية، لَقد أصبح الحصول على كتاب أو مرجع أو وثيقة على مسافة نقرة واحدة. تسمح لنا اليوم المنصات المختلفة والمكتبات الرقمية العامة أو الخاصة (digital library)، المتنوعة أو الجامعية على الحصول على المراجع والدعامات والوثائق في وقت قياسي يتم فيه إلغاء الحاجز الزماني والمكاني، وربح الوقت والجهد

المجتمع عندنا تكون لسماع الموسيقى أو تتبع فيديوهات التيكتوك، أو مواقع التواصل الاجتماعي، المحيط الصوتي من حولنا هو مزيجُ بينَ الضجيج من الموسيقى والفيديوهات والأصوات المُخلة بالحياة أحياناً والتي تخرج من سماعات الهواتف مَن حولنا. لنُقارن حجم تحميل كتاب مُعين من مكتَبة رقمية مع نسبة مشاهدة لفيَديو تافه على مواقع التواصل الاجتماعي، الفرق بالملايين".

وانطلاقاً من هذه الأسباب، يضيف مؤكداً: "رغم توسع استعمال المكتبات الالكترونية وسهولة الوصول إليها للجميع إلاّ أنّ استعمالها ضعيفٌ جداً وعلى هذا الأساس أقول أنّ المكتبات التقليدية والمراجع الورقية مازلت تملك ذلك الزخم والشعبية والاهتمام، خاصةً أنّ حمل كِتاب مع رائحة الورق والمال".

كلّ هذا -حسب رأيه- ساهم في وضع القارئ سواء الطالب الجامعي أو المثقف أو الكاتب في حالة ميسورة من حيث الحصول على المراجع. لكن -يتساءل الأستاذ فوضيل-: ما حجم استعمال هذه المكتبات؟ وإقبال القُرّاء عليها؟، وهل يتَم فعلاً قراءة الكُتب والاطلاع عليها عبر الهواتف النقالة الذكية أو الحواسيب الشخصية أو حتى القارئات الرقمية(Tablette) أم أنّ العملية تتوقف على تحميل الملفات فقط وتخزينها؟ على أمل قراءتها الّذي لن يتحقق؟

وهنا أضاف بنوع من الخيبة والحسرة: "أريد أن أشير في هذا الصدد إلى تجربة قامت بها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في السنوات الماضية، حيثُ فتحت منصة (SNDL) وهو نظام وطني للتوثيق عبر الخط . (Système national de Documentation en ligne) وقامت بشراء حقوق القراءة عن منصات علمية دولية ومكتبات عالمية مرموقة ودور نشر كبيرة ومعروفة وذلك من أجل توفير مراجع وكتب وأبحاث للطلبة الجزائريين والأساتذة.. لكن بعد سنوات اضطرت إلى إيقاف الاشتراك، لأنّ نسبة استعمال والإطلاع وتحميل المَلفات والمراجع لم تتجاَوز 2%. يعني خسارة كبيرة للخزينة العمومية، إذا كان هذا هو أمر الجامعة، فكيف لنا بالمكتبات الرقمية العامة؟"

المُتحدث واصل في ذات السياق: "من جهة أخرى، أعتقد أنّ التواجد في مكان عمومي سواء في وسيلة النقل، (الميترو الطرامواي)، أو حتى في مساحة خضراء، يقدم لنا إجابة مختصرة. حيث أنّ أغلب استخدامات الهاتف من طرف مختلف شرائح خالي من الفوضى وشرود الذهن بالمقارنة مع حمل هاتف نقال، الّذي يُشتت الذهن بمَا يملكه من عوامل جاذبية تجعلك تغلق ملفاً لتسمعَ أو تُتابع فيديو أو ترد على اتصال أو رسالة نصية".

واختتم بَقوله: "من جانب فلسفي وفكري، متّى سنحقّق أهداف القراءة المُعاصرة، كما اختلف عليها جاك دريدا وإدوارد سعيد، حيثُ أنّ هذا الأخير يعتبر العولمة والنيوليبرالية بكلّ أشكالها تقود جيوشها الإعلامية والمالية المُدججة بالصورة والأفكار البراقة بعيداً عن الثقافة الإنسانية الحقيقية. لتحويل العالم إلى مجتمع الصفر والهشاشة. أمّا جاك دريدا يرى أنّ القارئ هو المُنتج للمعنى في هذا العالم".

الأستاذ فارس شاشة

المكتبات الرقمية بيئة متكاملة

يقول، من جهته، الأستاذ والباحث فارس شاشة المتخصص في علم المكتبات، من جامعة سطيف: "إنّ المكتبة الرقمَية عبارة عن مجموعة من المصادر الالكترونية والإمكانات الفنية ذات العلاقة بإنتاج المَعلومات والبحث عنها واستخدامها وبذلك فالمكتبة الرقمية هي امتدادٌ ودعمٌ لنُظم المعلومات واسترجاعها التي تدَير المعلومات الرقمية بغض النظر عن الوعاء سواء كان نصياً أو صوتياً أو في شكل صور بنوعيها الثابت وغير الثابت وتكون مُتاحة على شبكة معلومات".

مُضيفاً: "ولا ينبغي النظر إلى المكتبات الرقمية بوصفها مجموعة من مصادر المعلومات الرقمية وما يتصل بها من أدوات لإدارة هذه المجموعة إنّما ينبغي النظر إليها بوصفها تلك البيئة التي تجمع معاً بين المجموعات والخدمات والأشخاص لدعم الدورة الكاملة لإنتاج البيانات والمعلومات والمعرفة وبثها وإخضاعها للدرس والتعاون والإفادة منها".

ويرى المتحمسون للمكتبة الرقمية -حسب قوله- أنّ الحاسبات الآلية والشبكات قد غيرت بالفعل الأساليب التي يتواصل بها الأفراد مع بعضهم البعض وثمّة زعمٌ في بعض التخصصات العلمية بأنّ الباحث أو المهني يُفضل استخدام حسابه الشخصي المُتصل بشبكة الإنترنَت أو إي شبكة اتصالات أخرى على الذهاب إلى المكتبة بحثاً عن المَعلومات.

وتتمثل المزايا العديدة للمكتبات الرقمية -حسب الدكتور شاشة- في عدة مزايا، من بينها، نقل المكتبة إلى المستخدم، إذ أصبح القارئ يتصفح المراجع دون التنقل إلى المكتبة التي تتطلب وقتًا وإمكانيات لذلك فكلّ قارئ يملك جهاز حاسوب مُتصل بشبكة الانترنت يمكنه الاتصال بالمكتبات الرقمية إن كانت مجانية وقد يتطلَب الأمر دفع مبالغ مالية في بعض الأحيان.

كما يُشير المُتحدث إلى ميزة أخرى، هي سرعة التصفح والبحث، إذ تبنى -كما يضيف- معظم المراجع الرقمية على خاصية الروابط التشعبية التي تُسهل عملية الانتقال بين المراجع دون الاضطرار إلى البحث من جَديد كما تُزَوّد هذه المراجع بمَحركات بحث صغيرة تصل عملية البحث والولوج إلى المعلومات.

ومن بين هذه المزايا أيضاً، تشاطر المعلومات. أي الاطلاع على محتويات المكتبات الرقمية وتحميلها

تمكن الباحثين من تبادلها والاستفادة الجماعية منها. إضافةً إلى سهولة التحديث. و-هنا يُؤكد المُتحدث-، أنّ إضافة وتبديل المعلومات القديمة في المكتبة الورقية يتطلب إصدار طبعات جديدة عكس الكُتُب الرقمية التي يمكن تبديل المعلومات التي نريد تحيينها فقط. مع توفر إمكانيات الإتاحة الدائمة للمعلومات في المكتبة الرقمية.

كما أشار المُتحدث إلى توفير أشكال جديدة لعرض المعلومات، إذ تُمكننا -حسب رأيه- المكتبات الرقمية باستخدام بعض البرمجيات من عرض المعلومات بطُرق مختلفة مكتوبة تحوَّل إلى سمعية مثلاً، كما يمكن تحليل المعلومات الموجودة في المكتبات وعرضها في جداول أو رسوم تخطيطية.

كلّ هذا -حسب الدكتور شاشة- أدى إلى ظهور نمط تعليمي مختلف، وهذا ما جاء في قوله: "لا شك أنّ التعليم الإلكتروني عمل على إحداث ثورة في طرق التعليم الكلاسيكية فالطالب يختار المقاييس التي يدرسها فيه ويتدخل المشرفون في تقديم دعم تكنولوجي وبيداغوجي عن بُعد، هذا النمط يحتم وجود نوع جديد من المكتبات تُوفر له مراجع عن بُعد دون الحاجة للانتقال وهو ما يتطلب وجود مكتبة رقمية، فالهدف الوَاسع لمبادرة المكتبة الرقمية يكمن في تحيين سُبل تجميع مصادر المعرفة وتخزينها وتنظيمها وإتاحة استخدامها بشكلٍ واسع في مُختلف أشكالها الإلكترونية".